

الثقافة وتكيف الفرد

د. محمد بالرابح - جامعة وهران

الثقافة

يعرف تاييلور **Tylor** (1) الثقافة في مؤلفه "الثقافة البدائية" بالكل المركب الذي يشمل المعلومات والمعتقدات والفن والخلق والقيم الأخلاقية والقانونية والعادات والتقاليد، التي يتعلمها الفرد من الجماعة فتحدد بالتالي سلوكه.

فالثقافة، هي طريقة الحياة وأسلوب الأفراد، وما تضمّه من نظم تحدّد سلوكهم، أما ثقافة العمق **inner culture** فهي القيم والمعتقدات السائدة في المجتمع والأفكار التي تمثل نماذج السلوك، ويرتبط تأثير الثقافة على الفرد بالخصائص البيولوجية لديه، بحيث تختلف درجة التأثير من الطفل إلى البالغ. أما الحضارة فإنّها تتضمن الجوانب المادية من الثقافة في الأصعدة التكنولوجية والفنية والهندسية وغيرها (2). ومن أهم خصائص الثقافة الدوام والتراكم والانتشار والخضوع لعمليات التغيير البطيء من المجتمعات الثابتة والمنعزلة، أو التغيير السريع في المجتمعات الدينامية المتطورة، عن طريق استعارة وانتقال الثقافات أو الاكتشاف والاختراع، القائمين على المعرفة المتراكمة وتأثيرها على طبيعة العلاقات الاجتماعية، ويتم انتقال عناصر الثقافة عبر الأجيال، بفضل الكتابة التي ساهمت في التراكم المعرفي بالتسجيل والحفظ من التلف (3). وتكون الثقافة إمّا صريحة واضحة أو ضمنية مستترة، فأما المظهر الصريح، فهو ثابت متجسّد ملموس، يمكن ملاحظته وتسجيله مباشرة، يعبر عن الظواهر المادية المتمثلة في المنتجات المادية والسلوك الظاهري الذي يشمل حركات الفرد وغيرها.

و تقسّم الثقافة أيضا إلى شقيّين (4): ثقافة واقعية وثقافة بنائية، أما الأولى فتعبر عن السلوك الحقيقي لأفراد المجتمع وتتضمن أكبر عدد من العناصر المتميّزة عن بعضها البعض، بحيث تختلف استجابة شخصين لمنبه واحد، بل وتختلف تصرّفات الفرد الواحد لمثير معين وفق المواقف المختلفة، ومن ذلك فلا وجود لمثيرين متشابهين معا، بما يسمح للفرد بالتكيف مع البيئة بكيفية ناجحة، أما الثقافة البناءة فهي جملة النماذج المتنوعة التي تكوّن الثقافة الحقيقية مع ارتباط كل نموذج بالخبرة المكتسبة. والمظهر الضمني

فتعبّر عنه الظواهر السيكلوجية مثل الاتجاهات والقيم المشتركة وغيرها، ويصعب تحديد النماذج الضمنية لثقافة ما، وذلك لتنوّع المشاكل التي يطرحها التركيب السيكلوجي.

وبالرغم من اختلاف طبيعة التنشئة العامة عبر المجتمعات فإن **موراي و كلوكهوهن**، Murray & Kluckhohn يُقرّان بشمولية مبادئ عامة لدى كل المجتمعات، كالتالي (5):

- 1- يشبه الفرد جميع الأشخاص الآخرين، وذلك لاشتراك الجميع في الخصائص البيولوجية، التي تعدّ محددات للشخصية، وكذلك الثقافة التي تحدّد طريقة إشباع الحاجات البيولوجية.
- 2- يتشابه بعض الأشخاص مع الآخرين في طريقة إشباع هذه الحاجات.
- 3- لا وجود لأي شبه بين الأشخاص لتمييز كل فرد بحاجاته ومشاعره وإمكانياته المعرفية وخبراته السابقة وتصرفاته اليومية.

تأثير الثقافة في السلوك

يتحدّد التكيف عبر العلاقة التفاعلية بين الإنسان وثقافته، والتي تأخذ مضمونها الحقيقي في العلاقات بين الفرد والآخرين. فالثقافة تزود سلوك أفراد المجتمع بنماذج سلوكية توافقية ضمن علاقات تبادلية لتحقيق التفاعل الاجتماعي الإنساني داخل الجماعة (6)، حيث أنها تخلق النشاط وتشجعه، وبذلك تساهم في تعديل سلوك الفرد وتهذيبه باعتبارها مصدر التفاعل، والمجتمع هو الوعاء الذي يستلهم ذلك التفاعل، ويشترط توفر عنصر التكيف والمرونة عند الشخص المتكامل، عند انتمائه للجماعات المتعدّدة الاتجاهات، تحقيقاً للتلاؤم مع الظروف المختلفة، إذ لما كان الفرد توافقاً لاكتساب رضا أقرانه وزملائه، فإنّه يحنّ إلى الامتثال بهم بحسب ميولهم، فإن كانوا يقدّرون المال، عمد إلى جمعه وتوفيره، وإن كانوا يمجّدون الشجاعة والبطولة التجأ إلى المشاركة في الغزوات والحروب (7).

فالثقافة تشغل حيّزاً هاماً في عملية التكيف، لتأثيرها على شخصية الفرد، وعلى كافة أنظمة المجتمع، بدءاً بنظام الأسرة والنظام الاقتصادي، مما أدى بالمنهج التناسقي إلى اعتبار الشخصية نوعاً من الثقافة، باستخدام التحليل النفسي عند الفرويديين المحدثين في دراساتهم الإثنوغرافية الجماعية، واعتبار الفنون الشعبية والطقوس الدينية والحرفات والعلاقات الاقتصادية، مجرّد تصرفات سلوكية مرضية تمثل شخصاً واحداً (8). كما تعتمد دراسة التكيف الثقافي والاجتماعي للإنسان - بالدرجة الأولى - على مدى

قدرة تمييز الفرد بين نفسه وبين الآخرين وعناصر محيطه الاجتماعي، وخاصة الوعي بذاته وقدراته واستعداداته، وجعلها تلائم مقتضيات نظام مجتمعه الأخلاقي، عبر التفكير الذاتي والحكم الواقعي المعتمد على مقاييس المجتمع، وبالتالي تتضامن العلاقات المؤلفة من الشخصية والثقافة لتلمس كل جوانب الحياة. والواقع أن التراث العلمي للشخصية يعتبر فقيراً ومحدوداً برغم محاولات الكثير من الباحثين لإحداث وسائل علمية تطبيقية لدراسة الشخصية (9)، مثل اختبار بقع البحر لهرمان رورشاخ Rorschach واختبار تفهم الموضوع T.A.T لـ موراي Murray واختبار الشخصية الإسقاطي الجمعي G.P.P.T لـ ريوسل غاسل و تيودورك خان Theodore C. Gassell واختبار الشخصية الإسقاطي Khan واختبار رسم الشجرة والمنزل والشخص H.T.P. لـ جون باك. وحتى الملاحظات غير المنسقة والأحكام الذاتية، لبعض الباحثين الأنثروبولوجيين عن شخصية المجتمعات المختلفة، تعتبر هزيلة ولا تغني من جوع، لانعدام التنسيق بينها وعدم توفر الوسائل الكفيلة للمقارنة بين المجتمعات، ومع ذلك فقد سُجلت بعض النتائج الإيجابية لتلك الدراسات ومنها (10):

- اختلاف القيم الشخصية عبر المجتمعات .
- اعتبار أفراد المجتمع كمتغيرات للشخصية.
- شمولية الأنماط الشخصية الموحدة عبر المجتمعات.
- لكل مجتمع شخصيته الأساسية، وذلك لاختلاف العوامل البيولوجية الوراثية العرقية والمؤثرات البيئية والثقافية.

إنّ تأثير الثقافة يظهر جلياً في اختلاف سمات الشخصية، لدى المجتمعات المختلفة، مما أدى بالأنماط الثقافية إلى تثبيتها في الشخصية، وتشكل المتغيرات المختلفة، المرشد لمعالجة تأثير الثقافة، ومنها اختلاف الجنس والسن والخبرة والمهنة والدخل والوضع الأسري. ومن بين العوامل الثقافية التي ساهمت في اختلاف أنماط الشخصية وتعدّد الثقافات الفرعية المتنوعة: التغير الثقافي والتربية والتعليم والتمايز الطبقي والتنظيمات الاجتماعية.

الثقافة وتكيف الفرد

يتجلى دور الثقافة في تحقيق تكيف الفرد مع بيئته الطبيعية والاجتماعية، بتوفير الوسائل والشروط الممكنة وتوجيهه وتزويده بطرق إشباع الحاجات الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية وغيرها، مع تحديد نمط السلوك، للنظم الاجتماعية والقيم والتقاليد، ومع بقاء حيز من الحرية، يحقق منه الفرد أهدافه القليلة، التي تشاركه فيها الجماعة، وذلك ضمانا لوجود الجماعة وتماسكها، وبعث الشعور بالانتماء بين أعضائها ونشر فلسفة معينة عن الحياة وهدف الوجود وطبيعة العالم ومعاني الأشياء والأحداث.

إنّ الثقافة بهذا المعنى ثروة خصبة للشخصية، وخاصة منها الثقافة البسيطة، إذ تتعرض الشخصية في الثقافة المركبة إلى التفكك، نظرا لتعدد الضغوط، وكثرة الجماعات التي تتطلب منها تكيفا خاصا، يعجز الفرد عن تحقيقه؛ وقد عاجلت دراسة ميرفي Murphy (11) العلاقة بين التكيف الحسن أو السيئ للفرد، وبين درجة صلابة البيئة الثقافية، واستنتجت وجود ترابط إحصائي ذو دلالة جوهرية بين ظروف البيئة، وبين أنماط العُصاب، فكلما ارتفعت درجة الصلابة، تعددت مظاهر التكيف السيئ، وسادت التوترات الحادة، وانتشر السلوك الانحرافي، بالإضافة إلى الآثار السيئة التي تنشأ عن أثر انتماء الفرد إلى جماعات مختلفة في النظم والاتجاهات، عندما تفشل محاولاته التوفيقية، فيعتريه الصراع ويحدث بالتالي سوء التكيف. وقد نوّه سوروكين Sorokin (12) بدور الشخصية الإنسانية وتأثيرها في الأنماط الثقافية والاجتماعية، إذ لا وجود لجماعة بدون أفراد، وتُشكّل الثقافة والتفاعل الاجتماعي شخصية الفرد، ولا يكتمل البناء إلّا بتكامل العناصر الثلاثة:

فرد جماعة

ثقافة

بدليل أنّ تطوير النمو العقلي للفرد، يحصل عبر التفاعل الاجتماعي في إطار التنظيم الثقافي والاجتماعي. فالثقافة هي السياج الشفاف، الذي يتطور فيه سلوك الفرد، ليشب في ثقافة تمنحه طريقة حياة وأسلوبا لإنجاز الأشياء، وذلك عبر علاقة ثلاثية أقرتها المدرسة الفرويدية على النحو التالي (13):

ثقافة تعلم اجتماعي فرد

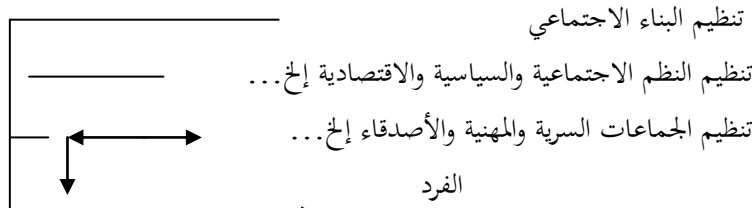
وإن كانت هذه الحقيقة، تولي اهتماما بمرحلة الطفولة، فهي صادقة بالنسبة للمجتمعات البدائية المتميزة بتقسيم العمل البسيط والمحدد، والتي يقوم بناؤها الاجتماعي على أسلوب الإنتاج وخضوع سلوك الفرد للتأثير المباشر، لانعدام فرص الاختيار بين البدائل والتزام الفرد بتنفيذ عمل واحد كمزولة الزراعة فقط.

ونظرا لاختلاف الثقافات بين الجماعات في المجتمع الواحد، فإنّ تأثير البناء الاجتماعي، أي أسلوب تنظيم المجتمع، يظهر جلياً في الثقافة، وفق العلاقة التالية:

البناء الاجتماعي ← الثقافة ← التعلّم الاجتماعي ← الفرد

وتطرح هذه العلاقة، التأثير غير المباشر للبناء الاجتماعي على السلوك في المجتمع الصناعي المعقد، عبر مسالك متعددة. إذ يدلّ البناء الاجتماعي على التنظيم الكليّ للمجتمع، باعتباره مفسّراً للسلوك الجماعي، المعبّر عن تنظيم الجماعات، التي ينتمي إليها الفرد، وذات التأثير المباشر في سلوكه الفردي. كما تخصّص الوظيفة البنائية مهمة البناء الاجتماعي، في الحفاظ على الثبات والنظام الاجتماعي، بينما يدعو تالكوت بارسونز T.PARSONS (14) إلى فكرة الوظيفة المعيارية التي تؤمن باعتناق غالبية أفراد المجتمع لقيم ومعايير الثقافة السائدة، وفق العلاقات التي يحددها الرسم التالي:

(شكل رقم 1)



ويعبر الشكل عن مرحلة ثابتة مستقرة ذات اتجاه واحد، بحسب الأسهم، لحين تعارض آراء الجماعات وتضارب مصالحها وتمايز مكاسبها، وفق أوضاعها المختلفة في البناء الاجتماعي، لتحوّل إلى صراع بنائي، تتشابك فيه مصالح الأشخاص والجماعات، كما تعكس هذه النظرية وجهة نظر البنائية التاريخية الدينامية التي تركّز على عاملي التاريخ والتغير.

الفرد والمجتمع

الإنسان اجتماعي الطبع، يتوق إلى لقاء الآخرين والانتماء إلى جماعة معيّنة-جماعة اللعب- جماعة المواجهة-جماعة التدريب ثم جماعة العمل... إلخ، يؤثر في أفرادها ويتأثر بهم، وما التفاعل الاجتماعي إلا نوعاً من التأثير المتبادل في السلوك، يحدث بين شخصين أو أكثر، ويفيد في إدراك مستوى الكفاية

الإنتاجية، عند تكاتف أفراد الجماعة لتحقيق نشاط معلوم، فبالرغم من تميز المرء بخصائص انفرادية محدّدة ذات نمط فريد، إلا أنه يتقاسم مع الآخرين سمات مشتركة، تجعله يستجيب للمواقف، عبر الشخصية الكلية وليس عن طريق الخصائص المميّزة. أما العلاقة الجدلية التفاعلية، القائمة بين الفرد والمجتمع، فتعبّر عن أسلوب تكيف الإنسان مع مجتمعه، وفق ممارسات معيّنة، تحدّد عوامل أساسية، منها المعايير والدور والانحراف وغيرها.. إلخ، وتتضمن عملية التفاعل الاجتماعي مظاهر أربعة وهي (15):

1-الاتصال: بجميع وسائله المختلفة كاللغة وغيرها.

2-الدور: الإلمام بطريقة سلوك الآخرين، للتعرف على اتجاهاتهم؛ ويشكّل أداء الدور، الوظيفة الأساسية للحياة الاجتماعية، وقد اتخذ الأستاذ بانتون 1965 Banton، نظرية الدور تفسيراً لأنماط السلوك البشري، كما مثّل غوفمان Goffman.e الحياة الاجتماعية بمسرحية ممثلوها أفراد المجتمع، كل بحسب دوره المنوط إليه، أما سلوكهم فيحدده التفاعل مع المواقف المختلفة، وبالإمكان توقع السلوك المناسب، عن طريق المكانة التي يشغلها الشخص، باستثناء صراع الدور (16) الذي تُعبّر عنه في بعض المواقف، سلوكات محتلّي مراكز اجتماعية ضعيفة، وهي توقعات متعارضة، تعكس علاقات القوى بين أمانى الفرد وتوقعات الآخرين، الذين يمارسون ضغوطاً عليهم من خلال مراكز قوتهم.

3-المشاركة: وتظهر بخاصة في مرحلة الطفولة، وتعتمد على الذاكرة والتفكير والتخيّل.

4-الرمزية: أو التفاعل الرمزي، بمنح الأشخاص والأشياء والأحداث رموزاً، وبخاصة عند فقدانها.

إن ما يساعد في تأثير الجماعة على نمو الشخصية وبنائها الأساسي، تعلّق نمو الذات بالآخرين، وقبولهم أو رفضهم لسلوك الفرد، باعتبار الموقف السلوكي للإنسان، موقفاً اجتماعياً، بحكم التأثير المتبادل بين الفرد والجماعة، وتأثير ذلك على جميع الوظائف السيكولوجية البشرية، خاصة وأن الإنسان يعيش طيلة مسيرة حياته، في جماعات متأثرة ومؤثرة، يكتسب خبرات ثقافية من جماعة الأسرة إلى جماعة اللعب إلى جماعة الجيرة ثم جماعة العمل، مما يجعل من الصعوبة بمكان تحقيق التغير على المستوى الفردي وسهولته ضمن إطار الجماعة (17)، فإن كان يشكل قبول ورضاء الجماعة لسلوك الفرد، قوة منظمة للشخصية، فالرفض وعدم الارتياح لأفعاله يمثل قوة مفككة للشخصية، مما قاد بعلماء القياس الاجتماعي " السوسيومتري" (18) إلى تقييم الشخصية من خلال الجماعة.

لقد ثبت تاريخياً أن مكتسبات العمالة-من رفع المستوى الاقتصادي والسياسي وتحسين ظروف العمل وغيرها- كان استجابة لمطالب جماعية، ولم يكن تلبية لنداء أفراد معزولين(19)، فالجماعة هي المفهوم الأساسي والأصلي لدراسة السلوك الإنساني باعتبارها كياناً سوسولوجياً، يضم جمعا من نفر يشكلون وحدات جسدية ونفسية متصلة. وقد أجريت دراسات عديدة، عن الآثار السلبية التي يحدثها عدم التكامل بين الفرد ومعايير المجتمع، مثل ظاهرة الانتحار في المجتمع الأوروبي، والتي ربطها **دوركهايم** بمستوى التكامل الاجتماعي على الأصعدة الأسرية والدينية والسياسية، بحيث كلما تحقق التكامل، قلّ احتمال الإقدام على الانتحار، ويبرر ذلك بانتشار الظاهرة في المدن المصنعة ونقصها في الريف، لانعدام التكامل وفقد المعيارية والشخصية في العلاقات الاجتماعية، وقد طبق هذه القاعدة على الأنواع الأخرى من الانتحار، ومنها النموذج اللامعاري **ANOMIE** وحالة الانتحار الغيري أو التضحية من أجل الآخرين (الإيثارية).

شروط الامتثال

إذا كان التكيف الحسن، يضمن للمرء شخصيته داخل جماعته ومجمعه، في إطار ضيق، فإن تحقيق الإنجاز، يخدم الدينامية الأساسية عند الإنسان(20) ويجعل منه شخصاً مرغوباً فيه بين أفراد جماعته. ويتوقف قبول الفرد في الجماعة، على شروط مستمدة من ثلاثة اتجاهات أساسية، تمنح كل نظرية منها إجابات جزئية، لتكتمل أخيراً فيما بينها، وهي على التوالي(21):

1- **نظرية آدورنو t.w. adorno** ترى أن رسوخ بعض الاتجاهات في أعماق الشخصية، تؤلف البناء الذي يحمل علامات مميزة لبعض السمات، من ذلك الأنماط العرقية الثابتة 'les stéréotypes raciaux' المتمثلة في العنصرية والنظرة المتشائمة للتاريخ، مما يصعب تغيير مثل هذا الاتجاه.

2- **نظرية فستيجر festiger** وتعرف بنظرية التخالف المعرفي، وتضم آراء واتجاهات قليلة الرسوخ عن النظرية الأولى، وتتعلق بتحليل عملية تغيير الرأي، عند الشخص بواسطة الواقع الاجتماعي أو الواقع الموضوعي، وقد بينت التجارب في إطار هذه النظرية، أن الفرد في هذه الحالات يميل إلى تغيير آرائه وأحكامه لنيل مبتغاه، بأقل الجهود الممكنة، وحتى بالنسبة للمواقف التي تكون فيها الاتجاهات سطحية،

يصاحبها ميل سيكولوجي لحل المتناقضات بأقل التكاليف، ويضمن انتماء فرد إلى جماعة ما، تغييراً لأحكام عديدة، منها تحقيق التكيف الذي تترتب عنه نتائج إيجابية للطرفين.

3- نظرية الفرد والجماعات المرجعية والانتمائية: شارك في تكوين هذه النظرية كلا من هيمان ونيوكمب ثم ميرتون Hyman, Newcomb, Merton، وهي تعتبر أن الآراء والاتجاهات الخاصة بالجماعات المختلفة مصدراً للمجال الاجتماعي للفرد، خصوصاً بعد أن اتضحت أهمية الجماعة المرجعية، في تكوين الآراء والاتجاهات، عند دراسة الروح المعنوية العسكرية، حيث لوحظ عند بعض الوحدات، أن رضا الجنود عن نظام الترقية كان واضحاً، رغم ندرة فرص الترقى لديها، وفي المقابل تميزت الوحدات التقنية، بوفرة الحظوظ، مع سواد عدم الرضا عن الترقى بين الجنود، مما يؤكد تحديد الآراء بحسب ظروف الجماعة التي ينتمي إليها الفرد، بالإضافة إلى تعلق تكيف الفرد لجماعته، ببناء المجال الاجتماعي المؤلف من الجماعات المرجعية والانتمائية، وقد أكدت دراسة نيوكمب (22)، التي أجريت بمؤسسة تعليمية بأمريكا، قصد معالجة مشكلة التكيف لدى التلاميذ المسجلين الجدد، عند انتمائهم لجماعة جديدة غريبة عن أسرهم، أن درجة تكيفهم مع الجماعة الجديدة، كان أقل من تعلقهم بعائلاتهم، في حين لو كانت درجة تعلقهم بالأسرة ضعيفة، فإن الامتثال بقيم الجماعة يكون سريعاً.

يستخلص من ذلك، أن تناقض متطلبات الجماعات التكوينية المختلفة للمجال الاجتماعي للفرد، يُحدث تطوراً لعملية التذبذب، باعتبار الموقف السلوكي للإنسان، موقفاً اجتماعياً، بحكم التأثير المتبادل بين السلوك الاجتماعي المباشر على الاستجابات، بينما تشير المحددات النمائية (23) إلى آثار الخبرات السابقة على الاستجابة الراهنة.

يصح القول، بأن الإنسان ميال إلى حيث الألفة والاعتقاد، فكلما تعلق بجماعة مألوفة، اضطر إلى تفادي الجماعة المجهولة، وهي الظاهرة التي وصفها هايديجر Heidegger (24) بـ Mitsein أي الهجر والتخلي، الذي يتحول إلى صراع مستمر، وذلك تأكيداً لقول غارودي Garaudy.R الجحيم هو غياب الآخرين، وسد الطريق أمام الغير فغاية الإنسان في الحياة، هي إثبات وجوده، بالتعاون أو التصارع، وقديماً قيل: الإنسان ذئب لأخيه الإنسان" تعبيراً لعدوانية بني البشر، مما دفع ببعض المفكرين من أمثال مالرو Malraux، إلى إنكار وجود تضامن إنساني، ووصف الأخوة الإنسانية، بأنها خرافية

هزلية من نسج الخيال، لا أساس لها في واقع الحياة. ويعتقد أصحاب المذهب المادي، أن أصل فساد الطبيعة الإنسانية، يكمن في الملكية الخاصة، باعتبارها مصدر العداوة بين الناس، وبزوالها يعم الرخاء وتشتبع حاجات الأفراد، عكس الاتجاه الفرويدي الذي يسمو بها إلى مستوى الغريزة التي تتطلب الإشباع، وإن كان غيابها لا يغيّر من فوارق النفوذ ولا يبدّل من طبيعة العدوان. خاصة وقد سبقت الطبيعة -الأرسخ قدما- توطيد التباين في الفروق الجسدية والمواهب العقلية، مما ينفي أن يكون التملك منشأ للعدوانية الإنسانية.

والواقع، أن السعادة الإنسانية لن تتحقق، إلا إذا تكاثف الإنسان مع أخيه الإنسان، للعمل معا بالأخذ والعطاء وتبادل المصالح والخبرات والتحلي بالوازع الأخلاقي والإيمان الراسخ، محولا فطرته من المعاشرة إلى العدالة (25)، عبر عملية الاندماج والامتثال في الحياة الاجتماعية، تحقيقا للتفاعل الاجتماعي وبلوغ أعلى مقام في الخلاص والتضحية والوفاء. وإن كان عامل الوراثة والأصول والأسلاف، يشكل الحالة العقلية للفرد، إلا أن للبيئة -وخاصة مرحلة الطفولة- تأثيرها البالغ في نموه ونضجه، فالبيئة حساء الثقافة الذي يغذي النفس ويهذبها، فحبذا لو نُشّيء الطفل وتنقّف، في جوّ اجتماعي ذو أخلاقية سامية. فقد برهنت التجارب التي أجريت في أول مختبر للعلوم الأخلاقية بفرنسا (26) صدق هذه الفرضية، فمن بين "66" متخلفا عقليا يمست المصالح الطبية للتأمينات الاجتماعية، عن علاجهم بحكم عدم صلاحيتهم للعمل، شفي "60" منهم، وأصبحوا قادرين على العمل، بعدما كان بعضهم في حالة تمرد اجتماعي. وقد قامت دعائم نهضة الإنسان الحضارية المادية، بفضل التطور الصناعي، الذي مكّنه من التحرر والاعتناق من بيئته المحدودة وحاجاته البيولوجية المحدودة، فساعدته على تخطي المرحلة الحيوانية، وبلوغ المرحلة الإنسانية، بعد أن نجح في تكييف نفسه وحاجاته، وفق الظروف البيئية المحيطة به. فبفضل الصناعة، نمت خبراته العقلية وتطور تفكيره نحو الابتكار والاختراع والتجديد، وصار شغوفًا بالعمل وتحوير أدواته وتطوير حياته وحضارته، منذ الانطلاقة التكنولوجية من ألف سنة، وهي الحقبة التاريخية الحاسمة، لبداية تقدمه الحضاري، وتغيير مجرى حياته، بالتأثير المباشر على شخصيته، لتتأقلم مع محيطها، تحقيقا للتوافق بين مطامح الفرد ومتطلبات الثقافة، وبالتالي الرفع من معنويات الفرد والجماعة ذات التأثير الفعال على أداء العمل وتوسيعه وعلى علاقات العمل. فمن العبث أن نرحل بعيدا للبحث عن السعادة في الوهم الخيالي،

وهي في متناول أيدينا، نلمسها عن طريق الرضا التام، لمختلف النشاطات المادية والأدبية، وإن الأنشطة المختلفة المعبرة عنها بالأداء، تهدف إلى تحقيق التلازم بين حاجيات الفرد، ومتطلبات العالم الخارجي.

إن نقل التكنولوجيا بالنسبة للبلدان النامية، هي استيراد نمط الإنتاج الملائم لظروف البلدان المصنعة، وقد لا يتلائم مع ظروفها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، والحل يكمن في تكييف هذه التكنولوجيا لتنسجم مع الظروف المحلية، فالمصاحبات الثقافية والنفسية المترتبة عن المبادلات التقنية بين الدول المصنعة والنامية، يدفع بهذه الأخيرة إلى اختيار أحد الحلين، إما الذوبان والانصهار في الثقافة الواسعة للبلد المصدّر، أو البحث عن نموذج خاص ينبع من كيانها وتطلعاتها، للمساهمة في تعددية التراث الإنساني، إذ بإمكانها ملاحقة الركب التكنولوجي، بالاستفادة من خبرات الدول المصنعة التي اكتسبتها في أساليب الإنتاج، لتبدأ من حيث انتهت، مع صعوبة ما تتوقعه أثناء تكييف الثقافتين، لتأثير العادات والأعراف على نمط العمل. وإن كانت الثقافة الصناعية تطرح ثقافة جديدة للعاملين، فيواجهها كل عامل بطريقة متفاوتة عبر قوتين جاذبتين: الحنين إلى ثقافة المجتمع الأصلي وما يحويه من ذكريات وتصورات، ثم قيم واتجاهات الثقافة الجديدة.

لقد بدأت تنتقل حضارة المدينة إلى حياة الريف، مما أضفى الخوف من اضمحلال الظاهرة مع مرور الزمن، وذلك من جراء توسع التصنيع، وما يترتب عنه من هجرة الريفيين، بفضل عناصر الجذب في المدينة، كقُصر العمل والترفيه والرفاهية، ثم اصطدامهم بنمط حضاري غريب، عمّا تعودوه في الثقافة الأصلية.

المراجع

- 1- MALINOWSKI. B, A, *Scientific Theory Of Culture And Others Essays*, University Of North, Carolina Press.U.S.A.1944, pp.125-126.
- 2- محمود السيد أبو النيل، علم النفس الاجتماعي: دراسات مصرية وعالمية، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، القاهرة، 1975، ص ص 416-424.
- 3- محمد عاطف غيث، دراسات انسانية واجتماعية، دار المعارف بمصر، الاسكندرية، 1965، ص ص 65-87.
- 4- Linton Ralph, *The Cultural background of personality*, Routledge & Kegan Paul, London, 1947, pp 39-48.
- 5- محمود السيد أبو النيل، 1975، مرجع سابق، ص ص 424-425.
- 6- محمد عاطف غيث، تطبيقات في علم الاجتماع، دار الكتب الجامعية، الاسكندرية، 1975، ص 80.
- 7- Herzberg, F, *le travail et la nature de l'homme*, adapté de l'américain par charles voraz, 4° ed. EME (entreprise moderne d'édition), Paris, 1971, p 67.
- 8- قيس النوري، الحضارة والشخصية، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1981، ص 26.
- 9- محمد فرغلي فراج وآخرون، السلوك الإنساني: نظرة علمية، دار الكتب الجامعية، القاهرة، 1977، ص ص 105-108.

- 10- Linton, R, 1947, *op.cit.*, pp 112-123.
- 11- أنطون رحمة، الشخصية وأثر معاملة الوالدين في تكوينها، رسالة ماجستير، مطبعة دار الحياة، دمشق، 1970، ص 50.
- 12- محمد عاطف غيث، 1965، مرجع سابق، ص 96-98.
- 13- كولسون، م.و، ريدل، د، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة غريب سيد أحمد عبد الباسط ومحمد عبد المعطي، دار الكتب الجامعة، الاسكندرية، 1972، ص 76.
- 14- نفس المرجع، 1972، ص ص 71-79.
- 15- محمود السيد أبو النيل، 1975، مرجع سبق ذكره، ص ص 261-264.
- 16- كولسون، ريدل، 1972، مرجع سبق ذكره، ص ص 59-63.
- 17- Herzberg, 1971, *op.cit.*, p 72.
- 18- كولسون، ريدل، 1972، مرجع سابق، ص 42.
- 19- sapir, e.Culture et Personnalité, T1, traduction de ch. baudelot & P.dinquart, les éditions de minuit, Paris, 1967, p 183.
- 20- Winstrebert, P., le vivant : créateur de son évolution, Masson & cie, Paris, 1962, pp 226-227.
- 21- Encyclopaedia universalis, la clé de la connaissance, V1, Paris, 1968, pp228-229.
- 22- *oc. cit.*
- 23- لازاروس ريتشارد، الشخصية، ترجمة سيد محمد غنيم، دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1981، ص ص 175-177.
- 24- Belione Louis, amélioration de la condition de l'homme au travail, les éditions d'organisation, Paris, 1977, p 119.
- 25- Proudhon, P.J., système des contradictions économiques ou philosophie de la misère, II, N.E, Marcel Rivière, Paris, 1923, p 262.
- 26- Broukheil George, travail et richesses, édition J. olivier, Paris, 1945, p